Abhat Journal, Volume. 16, Issue. 1, March 2024

Abhat Journal, Faculty of Arts, Sirte University مجلة أبحاث بكلية الآداب جامعة سرت
Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/ABHAT/index

الاشتقاق في اللغة العربية وأثره في إيقاع الخطاب الشعري

د. عبد العزيز الطالبي
Azyztalby@gmail.com
جامعة محمد الخامس/ الرباط/ المغرب

الملخّص:

يعد الاشتقاق من أبرز الظواهر التي تزخر بها اللغة العربية؛ لذلك سعت هذه الدراسة إلى مقاربته من خلال الوقوف عند إشكالية طبيعة تجليه في هذه اللغة، وأثره في إغناء البنية الإيقاعية للخطاب الشعري تحديدا، وذلك وفق منهج علمي يعتمد على الوصف والتحليل. وقد خلصت الدراسة إلى عدد من المعطيات يمكن إجمالها فيما يأتي:

– تجلي الاشتقاق في اللغة العربية بطريقة فريدة، تجعل منه أحد أبرز مميزاتها، ومَكْمَنا من مكامن فرادتها.

– أهمية الاشتقاق في إغناء البنية الإيقاعية الداخلية للخطاب الشعري.

– أهمية دراسة الاشتقاق في اللغة العربية؛ نظرا إلى تعدد مداخله صرفا، ومعجما، وبلاغة، وإيقاعا.

الكلمات المفتاحية:

الاشتقاق، اللغة العربية، الإيقاع، الخطاب الشعري.

Derivation in Arabic Language and its Impact in the Rhythm of Poetic Speech

Dr. Abdelaziz Talbi
Azyztalby@gmail.com
Mohammed V University/ Rabat/ Morocco

Abstract:

Derivation is a very important phenomenon in Arabic language, for that this research paper aimed to study this phenomenon in this language through its manifestations, and its impact in the rhythm of poetic speech, all that through dependence on a scientific approach based on description and analysis. In finally this research paper concluded to important data its can specified in these elements:

- **Uniqueness of derivation manifestation in Arabic language، which make it a one very important feature in this language.**
- **Importance of derivation in enriching the internal rhythmic structure of poetic speech.**
- **Importance of studying of derivation in Arabic language; because of its morphological, lexical, rhetorical, and rhythmic entrances which diverse.**

Keywords:

Derivation, Arabic language, Rhythm, Poetic speech.

مقدمة:

لقد تأسست معالم الدرس اللغوي العربي، واتضحت مسالكه وفروعه منذ القرن الأول الهجري تقريبا، وذلك بفضل وضع أبي الأسود الدؤلي (ت. 69 هـ) علم النحو العربي الذي حاول من خلاله تحديد الأسس الواجب اتباعها حفاظا على فصاحة اللغة العربية، وتحصينا لها؛ بعدما رأى كثرة لحن العرب في كلامهم، وكان ذلك بأمر من علي بن أبي طالب رضي الله عنه (الزبيدي، د. ت، ص 21-24)، كما تشير إلى ذلك معظم كتب النحو العربي. وهكذا، فقد شكل وضع علم النحو العربي انطلاقة تأسيس مختلف علوم اللغة العربية الأخرى من صرف، وبلاغة، وعَروض، وغيرها.

وقد أبانت علوم اللغة العربية، على اختلافها، عن فرادة هذه اللغة، وتميزها، ورقيها، وقوتها بالمقارنة مع باقي اللغات الإنسانية الأخرى؛ حيث إنها تزخر بمجموعة من الخصائص والسمات التي جعلتها أهلا لذلك من دون منازع، سواء من ناحية الصوت، أو اللفظ، أو التركيب، أو الدلالة؛ نظرا إلى اشتمالها على خصائص تنفرد بها وحدها من جهة أولى، وأخرى تشترك فيها مع باقي اللغات الحية من جهة ثانية؛ وحتى المشترك من الخصائص فإنه غالبا ما يظهر فيها بصورة فريدة تدعو إلى الإعجاب والانبهار.

وقد حاول مجال فقه اللغة العربية الوقوف عند هذه الخصائص بالدرس والتحليل، بناء على ما أتاحه تأسيس علوم اللغة العربية من كشف لطبيعة اللغة، وآليات اشتغالها من حيث مستوياتها المختلفة. ويعد عنصر الاشتقاق واحدا من خصائص العربية التي اهتم بدراستها عماء اللغة العرب القدماء؛ فأفردوا لها مؤلفات كثيرة ترصد مختلف جوانبها، إضافة إلى جهود الدارسين العرب المحدثين، خاصة في المقارنة بين اشتقاق العربية واشتقاق لغات أخرى مثل الإنجليزية. وفي هذا السياق، ستحاول هذه الدراسة مقاربة عنصر الاشتقاق في اللغة العربية، من خلال إشكالية تتعلق بمدلوله، وطبيعة تجلياته، وتأثيره في البنية الإيقاعية للخطاب الشعري. وفي هذا السياق، نفترض تتعدد مظاهر الاشتقاق وتجلياته في اللغة العربية؛ نظرا إلى تميز هذه اللغة بفرادتها وثرائها من شتى الجوانب، وأن يؤثر ذلك، بجلاء، على إثراء البنية الإيقاعية للخطاب الشعري العربي.

ولعل أهمية هذه الدراسة تتجلى، أساسا، في محاولة إثارة عنصر الاشتقاق بوصفه واحدا من أهم خصائص اللغة العربية، إضافة إلى ربط هذه الخاصية ذات الطابع الصرفي بعنصر الإيقاع الشعري.

وتجدر الإشارة، هنا، إلى توسلنا بمنهج وصفي تحليلي؛ نظرا إلى طبيعة الدراسة التي تفرض رصد تجليات الاشتقاق ومظاهره، إضافة إلى بيان أثره في البنية الإيقاعية للخطاب الشعري العربي إجمالا.

1-المدلول اللغوي للاشتقاق:

يقول ابن منظور في (لسان العرب) موضحا القصد اللغوي من كلمة (اشتقاق): «واشتقاق الشيء: بنيانه من المِرْجَل. واشتقاق الكلام: الأخذ فيه يمينا وشمالا. واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه... واشتق الخصمان وتشاقا: تلاحّا وأخذا في الخصومة يمينا وشمالا مع ترك القصد، وهو الاشتقاق... واشتق الفرس في عدوه: ذهب يمينا وشمالا. وفرس أشق، وقد اشتق في عدوه: كأنه يميل في أحد شقيه...» (منظور، د. ت، صفحة مادة: شقق). يتضح، إذن، أن المقصود من الاشتقاق في اللغة يتجلى في ثلاث دلالات: ترتبط أولاها بالبنيان؛ أي كل ما يشكل مكونا لشيء ما بشرط كونه مرتجلا؛ والمفهوم من ذلك أن هذا الشيء إنما يعود أصله إلى شيء آخر غير مرتجل البنيان. أما الثانية؛ فتتعلق بالأخذ في الشيء يمينا وشمالا؛ أي جعل الفعل متحققا على المفعول به يمينا وشمالا. كما ترتبط بدلالة ثالثة؛ وهي ميل الشيء إلى ناحية معينة. وبناء على ما سبق، يمكننا أن نصل، من خلال هذه الدلالات، إلى دلالة لغوية عامة للاشتقاق؛ وهي: البنيان، والأخذ في غير الموضع الواحد من الشيء.

2-المدلول الاصطلاحي للاشتقاق:

بعد هذا الإيضاح المقتضب للمقصود من كلمة (اشتقاق) في اللغة السالفِ البيان، سنحاول فيما هو آت توضيح المقصود من الكلمة في الاصطلاح. لقد اهتم اللغويون قدماء ومحدثين، ممن تناولوا عنصر الاشتقاق في اللغة العربية، ببيان المقصود الاصطلاحي منه؛ فقد عرفه، من القدماء، ابن السري السراج في كتابه (رسالة الاشتقاق) بأنه اتفاقُ اللفظين في تَضَمُّن الحروف الثلاثة الأصول المتفق عليها عند النحويين، والتي تقابل عندهم (الفاء، والعين، واللام)، ووجوبُ الاختلاف بينهما من حيث بناء الصيغة عن طريق الزوائد والحركات، واتفاقُهما أيضا في معنى مشترك (السراج، د. ت، ص 20). وفي كتاب (الخصائص) عرفه ابن جني في باب حديثه عن أنواع الاشتقاق، استنتاجا، بكونه أخذ حروف أصول، وجعلها صيغا ومباني مختلفة، سواء باتفاق ترتيبها أو بتقليبها من خلال صورها الست الممكنة، على أن تجتمع كلها في معنى واحد، وذلك مثل

أصول التركيب (س ل م) الذي يمكن أن تؤخذ منه الصور (سَلِمَ، ويَسْلَم، وسَالِم، ...) المجتمعة في معنى (السلامة) عن طريق الاتفاق في ترتيب الأصول في الصور كلها، أو من خلال تقليب هذه الأصول مثل (ك ل م)، و(ك م ل)، و(م ك ل)، و(م ل ك)، و(ل ك م)، و(ل م ك) (جني، 1957م، ص134). أما ابن دُرَيْد في كتابه الموسوم بـ (الاشتقاق)، فيرى أن المقصود من الاشتقاق هو ارتباط عدد من الألفاظ المتشابهة في مادة تركيبها بأصل معين يجمعها في معنى واحد، كما بين في بداية كتابه المذكور سلفا لما بين الأصل الذي اشْتُق منه لفظ (مُحَمَّد) اسمِ الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو لفظ (الحَمْد)، ليورد بعد ذلك مشتقات أخرى، أسماء وأفعالا، ترتبط به مثل: يُحْمَد، وحُمَيْد، وحَمِدَ، ومَحْمُود، وأحْمَد، وحَامِد، وحُمَيْد، وحُمَادَى (مثل قُصَارَى)، ومَحْمِدَة، ومَحْمَدَة، وكلها تحوم حول معنى (الشكر) (دريد، د. ت، ص 48- 50).

وأما بالنظر إلى المحدثين ممن اهتموا بدلالة الاشتقاق ومعناه، فقد عرفه، منهم، عبد السلام هارون في تقديمه لكتاب (الاشتقاق) لابن دُرَيْد بالقول إنه: «أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى» (دريد، د. ت، ص26)؛ وهو كذلك: «نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا وتغايرهما في الصيغة؛ أو يقال هو تحويل الأصل الواحد إلى صيغ مختلفة لتفيد ما لم يستفد بذلك الأصل: فمصدر (ضَرْب) يتحول إلى (ضَرَبَ) فيفيد حصول الحدث في الزمن الماضي وإلى (يَضرب) فيفيد حصوله في المستقبل وهكذا» (المغربي، 1908م، ص9)؛ أو هو، بحسب تعريف آخر: «أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية كضَرَبَ ويَضْرِبُ واضْرِبْ وضَارِبٍ ومَضْرُوبٍ وضَرُوبٍ وضَرّابٍ ومِضْرَبٍ... والاشتقاق من أكبر وسائل نمو اللغة وتوالد موادها وتكاثر كلمها، وقد انفردت به اللغة العربية. أما اللغات الآرية فيغلب عليها تولد فروعها من أصولها بزيادة أحرف ملحقة بالأصل أو سابقة له وهي حروف الكسع أو الإلحاق» (الدبك، د. ت، ص8-9).

يتضح من خلال هذه التعاريف المختلفة للاشتقاق أن دلالته الاصطلاحية ترتبط بظاهرة لغوية تميز اللغة العربية؛ وهي وجود ألفاظ تتفق من حيث مادتها، أو تركيبها، أو حروفها، ومن حيث معناها، لكنها تختلف من حيث صيغتها، أو وزنها الصرفي، وهي مأخوذة من أصل واحد. وقد أشار التعريف الأخير إلى أن الاشتقاق خاصية تنفرد بها اللغة العربية، وأنها وسيلة مهمة من وسائل نماء اللغة، وتكاثر ألفاظها. ولعل التدقيق في هذا المعنى الاصطلاحي للاشتقاق، يقود إلى إدراك علاقة الارتباط والتقارب التي تجمعه بمعناه اللغوي السالف البيان؛ حيث إن في هذا المعنى الاصطلاحي دلالة على الأخذ؛ إذ يدل على أخذ كلمة من أخرى، ودلالة على البنيان؛ إذ فيه شرط الاتفاق في تركيب الكلمات المشتقة؛ أي في البنيان المكون لها، وهو حروفها الأصلية؛ وبناء على ذلك فالمدلولان اللغوي والاصطلاحي للاشتقاق متقاربان من بعضهما إلى حد كبير جدا.

3-أنواع الاشتقاق وتجلياته في اللغة العربية:

قسم علماء اللغة العربية الاشتقاق إلى ثلاثة أنواع هي:

- الاشتقاق الصغير: وهو أن يكون بين المشتقات تناسب في الحروف، والترتيب، والمعنى. وهو الذي اشترط فيه ابن جني اتفاق الألفاظ المشتقة في ترتيب حروفها الأصول في سياق حديثه عنه، واصفا إياه بالمتاح في أيدي الناس وكتبهم؛ نظرا إلى يسره (جني، 1957م، ص134). وهذا النوع من الاشتقاق هو الشائع في الأذهان بشكل كبير كما يرى الدارسون (المغربي، 1908م، ص 14)، ومن أمثلته قولهم: (ضَرَبَ، يَضْرِب، اضْرِب، ضَارب، مضْرُوب) من مادة (الضَّرْب)، و(نَقَلَ، يَنْقُلُ، انْقُلْ، نَاقِل، مَنْقُول) من مادة (النَّقْل)، و(سَجَدَ، يَسْجُد، اسْجُدْ، سَاجِد، سَجّادَة) من مادة (السُّجُود)، وهذا كله مما كان فعله ثلاثيا، أما من أمثلته مما جاء فعله رباعيا فمثل قولهم: (أَدْرَكَ، يُدْرِكُ، أَدْرِكْ، مُدْرِك، مُدْرَك) من مادة (الْإِدْرَاك)، ومثاله مما فعله خماسي أن يقال: (تَرَاجَعَ، يَتَرَاجَعُ، تَرَاجَعْ، مُتَرَاجِع، مُتَرَاجَع) من مادة (التَّرَاجُع)، وأما مثاله مما فعله سداسي فكأن يقال: (اسْتَنْجَدَ، يَسْتَنْجِدُ، اسْتَنْجِدْ، مُسْتَنْجِد، مُسْتَنْجَد) من مادة (الِاسْتِنْجَاد)، وعلى غرار ذلك يُقاس الأمر بالنسبة إلى مختلف الأفعال في العربية؛ وهذا الأمر من باب التمثيل بالفعل بناء على نوعه من حيث عدد أحرفه، وليس من باب كون الفعل هو أصل المشتقات، وهو ما سيتبين بالتفصيل لاحقا.

- الاشتقاق الكبير: ويسمى، كذلك، (القلب)؛ وهو أن يكون بين المشتقات تناسب في المعنى والحروف دون الترتيب. وقد اشترط ابن جني في هذا النوع ضرورة تقليب أصول الألفاظ بحسب الصور الست الممكنة لما فصل الكلام في تعريفه كما سلف الذكر (جني، 1957م، ص134)، ومن أمثلته التي أوردها في (الخصائص) نجد تقاليب الأصول (ج ب ر) التي تجتمع في معنى (القوة والشدة)؛ فمن ذلك (جَبَرَ العظم وغيره) بمعنى قواه، و(رجل مُجَرَّب) أي قَوِيت مُنَّته،

و(أَبْجُرُ) أي قويُّ السُّرّة، (جني، 1957م، ص135)، ومن أمثلة هذا النوع، كذلك، الفعل (جَبَذَ) المشتق من مادة (الجذْب)؛ حيث إن بين اللفظين تناسبا في المعنى، والحروف، واختلافا في ترتيب الأصول؛ إذ نجد في المصدر الذي هو الأصل (المادة) حرفَ الباء يقع ثالثا، وفي الفعل يقع ثانيا؛ ما يعني أن في الأمر قلبا مسَّ الحروف (الأصول)؛ ولذلك سموه القلب (المغربي، 1908م، ص14-15)، ومن أمثلته، أيضا، قولهم: (غَذْمَرَ وغَذْرَمَ، وتبَهْلَصَ ووتَبَلْهَصَ، والْغُضْرُوفُ والغُرْضُوف، والبَسْبَسُ السّبْسَبُ) (الدبك، د. ت، ص9) الدالة تواليا على: الكلام المتنوع، والخروج من الثوب، والعظم اللين، والسير.

– الاشتقاق الأكبر: ويسمونه، كذلك، (الإبدال)؛ وهو أن يكون بين المشتقات تناسب في المعنى واختلاف في أحد الحروف، مع تناسب في مخرج الحروف المختلفة، ومن ذلك قولهم: (نَغَقَ ونَهَقَ) وهما فعلان دالان على الصوت المكروه، غير أنهما يختلفان في نوع الحرف الثاني من كل لفظ (الغين والهاء) الذي مخرجه من الحلق (السراج، د. ت، ص18)، ومن أمثلة هذا النوع، كذلك، قولهم: (قَصّ وقَسّ) بمعنى طَلَبَ وتَتَبَّعَ، و(رَاتِبٌ ورَاتِمٌ) بمعنى مُقِيم. وذهب بعضهم إلى أكثر من ذلك، فلم يشترط تناسب الحروف المختلفة في المشتقات من حيث المخرج؛ إذ يدخل في الاشتقاق الأكبر، كذلك، قولهم: (الخَرْقُ، والخَرْبُ، والخَرْتُ) بمعنى الثُّقْب، رغم أنه لا تناسب من حيث مخرجُ حروفِها الأخيرة (القافِ، والباء، والتاء) (المغربي، 1908م، ص18-20).

– النحت: ويسمى كذلك (الكبار)؛ هو اشتقاق كلمة من مجموع حروف كلمتين أو جملة كاملة، وتسمى الكلمة المشتقة وفق هذه الطريقة منحوتةً (المغربي، 1908م، ص22)، ومن أمثلة هذا النوع نحتُ الاسم نحو: (جُلْمُود) من جِلْد وجَمَد، و(الحَمْدَلَةُ) من جملة (الحمد لله)؛ ونحتُ الفعل نحو: (شَقَّحْطَبَ) من شَقّ وحَطَبَ؛ ونحتُ الصفة نحو: (المِشْلَوْزِ) من المِشْمِشِ واللَّوْز؛ ونحتُ النسبة نحو: (العَبْشَمِيُّ) من عبْدِ شَمْس (الدبك، د. ت، صفحة 9). وقد ذهب بعضهم إلى القول إن الفعل (بَعْثَرَ) منحوت من الفعلين (بَعَثَ وأَثَارَ) (السراج، د. ت، صفحة 18). والحقيقة أن النحت في اللغة العربية قليل كما يرى بعض الدارسين؛ وقد نحت المعاصرون بدورهم كلمات جديدة، يمكن أن تنضاف إلى ما نحته المتقدمون مثل: (اللَّاسِلْكِيّ) من لا وسِلْك، و(اللَّادِينِيّ) من لا ودِين، و(اللَّانِهَائِيّ) من لا ونِهَايَة، وغيرِ ذلك من الكلمات المنحوتة على هذا المنوال (الدبك، د. ت، ص 9). ويشار، في هذا السياق، إلى أن ابن جني في (الخصائص) قد اكتفى بتقسيم الاشتقاق إلى النوعين الأولين فقط (الصغير والكبير)، ولم يزد عليهما، وكان يسمي الصغير (الأصغر)، والكبير (الأكبر)؛ إذ لا فرق عنده بين كل مسميين (جني، 1957م، ص133-134).

اتضح مما سبق أن الاشتقاق، في اللغة العربية، ينقسم إلى أنواع تختلف فيما بينها من ناحية درجة تحققه في الألفاظ؛ إذ هناك ما يكون بطريقة بسيطة، تقتضي اختلاف الصيغة الصرفية فقط، وهو الصغير؛ وما يكون بطريقة أقَلّ منها بساطة، تقتضي اختلاف ترتيب الحروف الأصلية المكونة للمشتقات، وهو الكبير (القلب)؛ وما يكون بطريقة تقل فيها البساطة عن السابقين، تَلْزَم إبدال أحد الحروف بآخر في المشتقات، وهو الأكبر (الإبدال)، وأخيرا ذاك الذي يكون بطريقة فيها شيء من التعقيد إن صح القول، ويقتضي أخذ كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر، وسموه (النحت)؛ وبناء على ذلك، فإن للاشتقاق تجلياتٍ مختلفة، وطرقَ تحقيق متعددة، وذلك بالتدرج من البساطة إلى التعقيد.

4–أصل المشتقات من منظور الصرفيين والمعجميين:

يهتم علمان بدراسة الاشتقاق في اللغة العربية، وهما الصرف والمعجم؛ وقد حدث اختلاف بين الصرفيين والمعجميين في مسألة طريقة دراسة المشتقات، أو بمعنى آخر فيما يتعلق بأصلها. وقبل بيان ذلك ببعض التفصيل، لابد من الإشارة إلى علاقة الترابط الوثيق بين الاشتقاق وعلم الصرف بالتحديد؛ حيث لم يتردد الصرفيون في الإفصاح عنها من خلال مصنفاتهم، فهذا ابن جني في كتاب (المنصف) يقول في أحد المواضع منه في سياق الحاجة إلى علم الصرف: «وينبغي أن يُعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسبا قريبا، واتصالا شديدا» (جني، المنصف، 1954م، ص35)، وفي موضع آخر يقول: «ولا يُوصَلُ إلى معرفة الاشتقاق إلا به [يقصد علم الصرف]» (جني، المنصف، 1954م، ص34)؛ وهذا القولُ الأخيرُ نجد ابن عصفور يورده نفسُه في كتابه (الممتع الكبير في التصريف) لما تحدث عن شرف علم الصرف، ومرتبته في العربية (الإشبيلي، 1996م، ص31).

وبخصوص العودة إلى مسألة الاختلاف بين الصرفيين والمعجميين في طريقة دراسة المشتقات أو تحديد أصلها، فيرى علماء الصرف أن المشتقات لابد أن ترجع إلى أصل واحد، وهو إحدى

المقولات النحوية لسبب ما؛ وفي هذا السياق يرى البصريون أن أصل المشتقات هو المصدر؛ لأنه يدل على شيء واحد، فقط، وهو الحدث؛ لذلك سموه اسمَ الحدث، ومنه تشتق الصيغُ الباقية مثلُ الفعل، واسم الفاعل، واسم المفعول، وغيرها التي تقتضي الدلالة على شيئين مثل دلالة الفعل على الحدث وزمنه. أما الكوفيون فزعموا أن أصل المشتقات إنما هو الفعل الثلاثي الماضي المجردُ المسندُ إلى الغائب المفرد مثلُ (ضَرَبَ)؛ لأنه يشتمل على ثلاثة أصول لا زائد عليها، تتكرر في المشتقات جميعها (حسان، 1994م، ص 166-167)؛ وقد أشار إلى ذلك علماء الصرف القدماء، ضمنيا، لما أثاروا ظاهرة الاشتقاق في مصنفاتهم، كما يتجلى، مثلا، في تعريف ابن عصفور لنوع الاشتقاق الأصغر في كتابه (الممتع)، من منظور النحويين، حين قال إنه: «إنشاء فرع من أصل يدل عليه» (الإشبيلي، 1996م، ص40)؛ مما يؤكد انطلاق الصرفيين من مبدأ ضرورة تحديد الأصل في دراسة المشتقات؛ ويتضح ذلك أكثر عندما نجد ابن عصفور نفسه يورد أمثلة لمشتقات أصلها الفعل مثل (أَوْلَقُ) المأخوذ من الفعل (وَلَقَ يَلِقُ) بمعنى أسرع، وأخرى أصلها المصدر مثل (ضَارب، وضَرَّاب، وضَرُوب، ومِضْراب) التي تُرَد جميعا إلى المصدر (الضَّرب) (الإشبيلي، 1996م، ص41-42). وقد حدد الصرفيون في كتبهمْ بابا سموه (المشتقات)، ذكروا فيه مختلف المشتقات في اللغة العربية، وحددوها في مقولات نحوية بعينها، أبرزها: اسمُ الفاعل، واسمُ المفعول، وصيغُ المبالغة، والصفةُ المشبهة، واسما الزمان والمكان، واسمُ الآلة (بوخدود، 1988م، ص 69-91).

وأما المعجميون فقد نظروا إلى الاشتقاق لا من ناحية الأصل والفرع تحديدا، وإنما من ناحية دراسة دلالة كل مشتقات اللغة العربية الممكنة، ولم يَرُدُّوا المشتقات إلى كلمة أصل من دون أخرى، ولكنهم رأوا أن أصل المشتقات إنما هو المادة الأساس المكونة لها من حروف؛ وبناء على ذلك، فهم تحدثوا عن المادة لا عن الكلمة (الصيغة) الأصل كما نهج الصرفيون، فسواء أكانت الكلمة مصدرا، أو فعلا، أو غيرَ ذلك من المقولات النحوية، فكلها فروع عن مادة أصل، هي بمثابة علاقة صلة رحم بين مختلف المفردات التي تترابط معجميا (حسان، 1994م، ص167-168)؛ حيث يُسْتَنْتَج ذلك من مصنفات المعجميين العرب القدماء أمثالِ الجوهري صاحب (الصِّحَاح)، وابن منظور صاحب (لِسَان العرب)، إذ يصرح المصنفان في مقدمة معجميهما بأن الأمر يتعلق ببيان دلالات ما صح من ألفاظ العربية، وما أُخذ منها عن عرب البادية بالمشافهة؛ لكونها لغة الدين والدنيا (الجوهري، 1979م، ص55)، وتحديد مختلف معانيها؛ حتى يُحصر فصيحها؛ نظرا إلى كثرة اللحن بها، وإيثار اللغات الأعجمية عليها، بالرغم من أنها لغة النبوة والكتاب العزيز (منظور، د. ت، ص13)؛ ويتأكد ذلك بجلاء في عرض المصنفان معاني مختلف ألفاظ العربية ودلالاتها، وفق مواد لغوية مرتبة باعتماد التتابع الألفبائي لحروف اللغة العربية، وتوليد الصيغ المختلفة للمادة الواحدة وفق نهج اشتقاقي بالغ الجلاء.

تبين مما سبق أن هناك تباينا من حيث زاوية النظر إلى طبيعة أصل ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية بين علماء الصرف من جهة، وعلماء المعجم من جهة أخرى؛ حيث يربط الصرفيون الظاهرة بضرورة تحديد المقولة النحوية التي تشكل أصل المشتقات كلها؛ فحددها أصحاب المذهب البصري في مقولة (المصدر) لمحدودية دلالته المقتصرة على الحدث فقط، أما أصحاب المذهب الكوفي فدافعوا عن كون مقولة (الفعل الثلاثي) أصلا للمشتقات كلها؛ نظرا إلى اشتمالها على الحروف الأصول من دون أي زيادة. أما المعجميون، فلم يهتموا بالأصل النحوي للمشتقات، بل ركزوا اهتمامهم على المادة الأصل لأي مشتق من المشتقات، وهي الحروف الأصلية التي وجب تكرارها في مشتقات مادة معينة؛ بهدف بيان الدلالة المقصودة منها أساسا. وعموما، فإن هذا الاختلاف لا يفسد الوصول إلى الغاية المرجوة التي تتمثل في مقاربة ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية، وتأكيد تحققها، واغتناء النسق اللغوي العربي بها.

5-أثر الاشتقاق في إيقاع الخطاب الشعري:

لقد مر بنا سلفا أن من سمات الاشتقاق في اللغة العربية أن يتبدى في لفظين فصاعدا، ويقتضي ذلك الاتفاق في أصول المادة (الحروف) المكونة لهما، إضافة إلى المعنى. ولعل سمة الاتفاق في الحروف بين المشتقات المترابطة معجميا من شأنه، طبعا، أن يحدث لدى السامع جرسا موسيقيا (إيقاعيا) قائما على الترابط، وبخاصة لمّا تتيح طبيعة الخطاب للمتلقي سماع لفظين مشتقين أو أكثر في مدة زمنية قصيرة، كما هو الشأن بالنسبة إلى طبيعة الخطاب الشعري الذي يعد الإيقاع، عموما، واحدا من أسسه وركائزه الضرورية؛ ذلك أن الشعراء غالبا ما يتجهون إلى تحسين جانب اللفظ في قصائدهم، حتى يضفوا عليها نوعا من الثراء الموسيقي والإيقاعي، وهو ما يتجلى، من ناحية الدراسة، في عنصر الإيقاع الداخلي للنص الشعري.

ويهتم علم البلاغة، هو الآخر، بدراسة عنصر الاشتقاق في اللغة العربية، وإن بشكل عابر؛ حيث يثيره فيما يخص علم البديع الذي ينظر إلى مختلف طرق تحسين المعنى واللفظ في كلام العرب، وفيه يُدْرَجُ الاشتقاق ضمن طرق تحسين اللفظ تحديدا، وذلك لمّا نظرت إليه البلاغة بوصفه نوعا من أنواع الجناس في اللغة العربية؛ حيث يُقْصَد منه (الجناس) اتفاق اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى (القزويني، 2003م، ص 288).

ولعل من أبرز أسباب إدراج البلاغة العربية الجناسَ، عموما، والاشتقاقَ منه، خصوصا، ضمن طرق تحسين اللفظ، هو فطنة البلاغيين العربِ إلى أن هذا الضرب من البديع يحدث نوعا من الجرس الموسيقي في الكلام، ويضفي عليه طابعا إيقاعيا بارزا؛ وهذا ليس إلا دليلا على أن للجناس بشتى أنواعه أثرا إيقاعيا في كلام العرب. وقد أدرج البلاغيون نوعي الاشتقاق الصغير والكبير ضمن الجناس، ودليل ذلك قول شرف الدين الطيبي في سياق الحديث عن أنواع الاشتقاق: «والحادي عشرَ: الاشتقاقي: وهو أن يؤتى بألفاظ يجمعها حروفها الأصلية في معنى، وهو ضربان:

الأول: أن يجمَعَها بترتيب، وذلك بأن يؤتى بفرعين فصاعدا فتُرَدَّ إلى الأصل بواسطة ترتيب حروفها كما إذا قلت: (سَلِمَ يَسْلَمُ، ومُسْلِمُ) إلى غير ذلك فإنما تجمعُها في معنى السَّلَامَةِ وهو المسمى بالاشتقاق الصغير...

والثاني: أن يجمعها من غير ترتيب، وذلك بأن يُؤْخَذَ أصلٌ ويُعْقَدَ عليه، وعلى تقاليبه معنى واحدٌ، وإن تباعد شيء رُدَّ بالتأوُّلِ، كما إذا قلت: (قَرْمَ) فإنه في تقاليبه السِّتِّ يدل على القوة، والشدَّةِ فالقرم شدّةُ شهوة اللحم، وَتَقَمَّرَ الرجلُ إذا غَلَبَ مَنْ يُقَامِرُهُ، والرقيمُ: الدّاهية. وعيشٌ مُرَمَّقٌ أي ضَيِّقٌ، والمَقِرُ شِبْهُ الصَّبِرِ لشدَّتِهِ على الذائقِ، ومَرَقَ السَّهْمُ إذا نَفَذَ من الرَّمِيَّةِ، وهو المسمى بالاشتقاق الكبير...» (الطيبي، 1978م، ص 487-488).

5. 1-أثر الاشتقاق في إيقاع خطاب الشعر العمودي:

بعد أن تلمسنا الأثر الإيقاعي للاشتقاق، أمكننا، الآن، أن نقف عند بعض أشعار العرب، من الشعر العمودي، التي وُظِّف فيها الاشتقاق، محاولين إبراز أثره الإيقاعي فيها، فمن ذلك قول أوسِ بن حجر في وصف واد وموضع (المعتز، 1982م، ص 27-28):

لَكِنْ بِفِرْتَاجَ فَالْخُلْصَاءُ أَنْتَ بِهَا فَحَنْبَلٍ فَعُلَى سَـرّاءَ مَسْرُورُ

حيث وقع الاشتقاق في لفظي (سَرَّاء ومَسْرُور) الدالين على معنى الفرح والسعادة؛ فبالرغم من أن اللفظ الأول يدل على اسم مكان، إلا أنه ليس ببعيد عن المعنى المذكور؛ ولربما سمي هذا المكان كذلك لباعث فرح وسعادة فيه. وقد أحدث الاشتقاق، هنا، تكرارا لفظيا من خلال اجتماع حرفي (السين، والراء) في موضع متجاور من آخر البيت الشعري من جهة، وآخر صوتيا يتجلى في تكرار صوت (الراء) ثلاث مرات بفضل الاشتقاق من جهة أخرى؛ وهو، طبعا، ما يشعر المتلقي بنوع من الجرس الموسيقي، والثراء الإيقاعي الفريدين.

وقول الشاعر الطائي (المعتز، 1982م، ص 28):

وَيَوْمَ أَرْشَقَ وَالْهَيْجَاءُ قَدْ رَشَقَتْ مِنَ الْمَنِيَّةِ رَشْقًا وَابِلًا قَصِفَا

وفيه يظهر الاشتقاق بين ثلاثة ألفاظ هي: (أَرْشَقَ، رَشَقَتْ، رَشْقًا) الدالةِ، عموما، على معنى الرمي، وقد أسهم ذلك في تكرار ثلاثة أصول (الراء، والشين، والقاف)؛ حيث تخللت ثنايا البيت إجمالا؛ وهو ما أغنى موسيقى البيت الشعري الداخلية، وإيقاعه بشكل عام.

وقوله في موضع آخر (المعتز، 1982م، ص 28):

فَاضَ فَيْضَ الْأُتِيِّ حَتَّى غَدَا الْمَوْ سِمُ مِنْ فَضْلِ سَيْبِهِ مَوْسُـومَا

حيث جاء البيت الشعري غنيا بالاشتقاق؛ إذ نجد في شطره الأول واحدا بين لفظيْ (فَاضَ وفَيْض) الدالين على معنى الامتلاء والكثرة، وآخرَ اشترك فيه الشطران بين لفظي (مَوْسِم ومَوْسُوما) الدالين على التمييز والتحديد؛ وهو ما أسهم في تكرار أصوات كثيرة في البيت (الفاء، والضاد، والميم، والواو، والسين)؛ والذي زاد من فرادة هذا التكرار الصوتي أنه وقع في لفظين متجاورين، وكذلك في اللفظ الواحد نفسه؛ مما يضعنا أمام تجاورٍ أعلى درجة من سابقه، وهو كذلك تكرار لفظي؛ وهذا، طبعا، من شأنه إغناء موسيقى النص، وإيقاعِه الداخلي عموما.

وقوله أيضا (المعتز، 1982م، ص 28):

سَعِدَتْ غَرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادِ فَهْيَ طَوْعُ الْإِتْهَامِ وَالْإِنْجَـادِ

وقد جعل الاشتقاقَ بين لفظي (سَعِدَتْ وسُعَاد) الدالين على معنى الفرح رغم أن اللفظ الثاني يَدل على اسمِ علمٍ لأنثى، لكنه يرتبط بالمعنى المذكور تأويلا؛ ولعل ما يسترعي الانتباه في هذا الاشتقاق أنه شكل حدودا لبداية الشطر الأول من البيت الشعري ونهايته؛ حيث ابتدأ الشطر بثلاثة أصوات (السين، والعين، والدال)،

وبها انتهى كذلك باستثناء الألف الفارقة بين (العين والدال) وهو ما لا يؤثر على تواليها المتقارب جدا؛ وقد أحدث ذلك، طبعا، جرسا موسيقيا تستشعره أذن المتلقي ما بين بداية الشطر الأول ونهايته تحديدا، وتعود إلى تلمسه فور نهاية البيت إجمالا؛ بفضل تكرار الصوت الأخير (الدال) في نهاية البيت.

وقول سعيد بن حميد (المعتز، 1982م، ص 30):

تَبْكِي لِتُضْحِكَ نَـوْرَهُـنَّ فَيَا لَهُ ضَحِكًا تَكَشَّفَ عَنْ بُكَاءِ سَحَابِ

وهو كبيت سابق، فيه غنى اشتقاقي بارز، نجده بين لفظي: (تَبْكِي وبُكَاء) الدالين على ذَرْفِ الدموع، ولفظي (تُضْحِك وضَحِكا) الدالين على الابتسامة أو ما شابه؛ حيث إن في الأمر تكرارا لفظيا بين كل لفظين مشتقين من جهة، وآخرَ صوتيا بين مختلف أصوات الألفاظ المشتقة وغيرها من جهة أخرى؛ وهو ما جهل تكرار الأصوات، تحديدا، مثيرا للانتباه في هذا الموضع؛ فقد تكرر صوت الكاف، مثلا، في مجمل البيت الشعري خمس مرات، وما كان ليحدث ذلك لولا عنصر الاشتقاق؛ وبفضل ذلك فقد اغتنى عنصر الإيقاع الداخلي في هذا البيت الشعري.

وقول الشاعر يصف السحاب (المعتز، 1982م، ص32):

نَسَجَتْهُ الْجَنُوبُ وَهْيَ صَنَـاعٌ وَتَرَقَّى كَـأَنَّـــهُ حَبَـشِـــيُّ
وَقَرَى كُلَّ قَرْيَةٍ كَانَ يَقْرُو هَا قِرًى لَا يَجِفُّ مِنْهُ الْقَرِيُّ

حيث أورد في البيت الثاني خمسة ألفاظ (قَرَى، قَرْيَةٍ، يَقْرُو، قِرًى، قَرِيٌّ) يظهر أن بينها علاقةَ اشتقاق؛ إذ يجمعها تقارب في المعنى، وهو الدلالة على المكان والمَقْصِد؛ فحتى (قَرَى) ومصدره (قِرًى) الدالان على الإطعام لهما علاقة بالمكان والمقصد؛ لأن القِرَى هو مقصد يقصده المَقْرِيّ، ولا يكون إلا في مكان محدد. لقد أسهم هذا الاشتقاق المتعدد من الأصل الواحد في اغتناء البيت الشعري بتكرير ثلاثة أصوات (القافِ، والراءِ، وألفِ المد أو واوِه)؛ مما يجعل لدى المتلقي إحساسا وكأنه يقرأ بيتا من هذه الأصوات فقط، وذلك قد أحدث نوعا من الانسجام الصوتي في البيت إجمالا؛ وهو ما أضفى نوعا من الطابع الإيقاعي الفريد على هذا البيت الشعري.

وقول أبي تمام (المعتز، 1982م، ص34):

وَلَهُ إِذَا خَلُقَ التَّخَلُّـقُ أَوْ نَبَا خُلُقٌ كَرَوْضِ الْحَزْنِ أَوْ هُوَ أَخْصَبُ

الذي يظهر فيه الاشتقاق بين ثلاثة ألفاظ (خَلُقَ، التَّخَلُّق، خُلُق) يجمعها معنى التميز بشيء ما؛ وقد كوّن ذلك أسلوبَ تكرار لفظي وصوتي معا، أساسه أصوات (الخاء، واللام، والقاف)؛ ولا يخفى على السامع أثر التكرار في الإيقاع الداخلي للخطاب الشعري إجمالا.

وقوله أيضا (المعتز، 1982م، ص35):

ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَالْتَوَتْ فِيهِ الظُّنُونُ أَمُذْهِبٌ أَمْ مَذْهَبُ

حيث جعل الاشتقاق بارزا بين ثلاثة ألفاظ (ذَهَبَ، مَذْهَب، مُذْهِبٌ)، مع تكرير اللفظ الثاني في آخر البيت الشعري، والتي يجمعها معنى التوجهِ والانطلاق؛ ولعل المثير للانتباه في هذه المشتقات الأربعة أن اثنين منها متجاوران في بداية الشطر الأول، واثنين آخرين متجاوران في نهاية الشطر الثاني، ولا يفصل بين كل مشتقين إلا حرف جر كما يتضح من خلال البيت؛ وكأن الشاعر عمد إلى ذلك حتى يشعر السامع بذلك التكرار الصوتي واللفظي، في الآن نفسه، المُحْدَثِ في بداية البيت الشعري ونهايته؛ ومنه فهو إنما يُشْعره بجرس إيقاعي فريدِ التحقق بفضل عنصر الاشتقاق تحديدا.

وقول الشاعر يمدح أحدهم (المعتز، 1982م، ص35):

غَيْدَاءُ لَوْ بُلَّ طَرْفُ البَابِلِيِّ بِهَا لَارْتَدَّ وَهْوَ بِغَيْرِ السِّحْرِ مَسْحُورُ

وقد جعل النصف الأخير من الشطر الثاني للبيت الشعري ذا طابع إيقاعي متميز، حدث بفضل إنهاء الشطر بلفظين مشتقين هما: (سِحْر، مَسْحُور) دالين على معنى الافتتان؛ حيث أحدث ذلك لدى السامع جرسا موسيقيا قائما على التكرار الصوتي واللفظي بشكل متجاور.

ومن شعراء الجاهلية الذين وَشَّوْا أبياتا من قصائدهم بالاشتقاق نجد عَمْرَ بنَ كلثوم، وذلك في معلقته الشهيرة، ومنها قوله في هذه الأبيات مفتخرا بمجد قبيلته تَغْلِبَ، وقوتِها، وعلوِّ شأنها بين قبائل العرب ردا على الملك عمرِو بنِ هند (الزوزني، د. ت، ص 174 وغيرها):

نَزَلْتُـمْ مَنْزِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا فَأَعْجَلْنَا الْقِـرَى أَنْ تَشْتِمُونَا
قَـرَيْنَـاكُـمْ فَعَجَّـلْـنَـا قِـرَاكُمْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِـرْدَاةً طَحُونَا
نَعُمُّ أُنَاسًا وَنَـعِـفُّ عَنْهُمْ وَنَحْمِلُ عَنْهُـمُ مَـا حَمَّلُونَا
نَشُـقُّ بِهَا رُؤُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا وَنَخْتَلِبُ الـرِّقَـابَ فَتَخْتَلِينَا

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا
وَرِثْتُ مُهَلْهِلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْرًا نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينَا
وَنَحْنُ غَدَاةَ أُوقِدَ فِي خَزَازَى رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا
فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ وَصُلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا
مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَمَاءُ الْبَحْرِ نَمْلَؤُهُ سَفِينَا

حيث يظهر، جليا، غناها بعنصر الاشتقاق؛ إذ لا يخلو أي بيت منها من هذا العنصر اللغوي، ففي البيت الأول نجد (نَزَلْتُمْ، مَنْزِل) الدالين على معنى الإقامة، وفي الثاني (قَرَيْنَا، قِرَى) الدالين على معنى الإطعام، وفي الثالث (نَحْمِل، حَمَّلُوا) الدالين على معنى التَّكَلُّف، وفي الرابع (نَشُقُّ، شَقًّا) الدالين على معنى الضرب، وفي الخامس (يَجْهَلْ، نَجْهَلَ، جَاهِلِين) الدالة على معنى انعدام العلم والمعرفة، وفي السادس (ذُخْرُ، ذَاخِرِين) الدالين على معنى التخبيء والتوفير، وفي السابع (رَفَدْنَا، رِفْد، رَافِدِين) الدالة على معنى الغنيمة والتحصيل، وفي الثامن (صَالُوا، صَوْلَة، صُلْنَا) الدالة على معنى الجَوَلَان، وفي التاسع (مَلَأْنَا، نَمْلَأ) الدالين على معنى الشَّحْن والتَّعْبِئة.

لقد لجأ عمرو بن كلثوم للاشتقاق في كل بيت من هذه الأبيات على حدة، إما عن طريق لفظين أو ثلاثة ألفاظ؛ وهو ما أحدث في كل بيت جرسا موسيقيا متميزا، يجعله متفردا إيقاعيا عن الأبيات الأخرى، وذلك ما تتلمسه أذن السامع حتما؛ وقد جعل هذا الأمر من النص، إجمالا، وحدة إيقاعية متفردة، أساسها الإحساس باطراد عنصر التكرار الصوتي واللفظي بفضل عنصر الاشتقاق تحديدا.

5. 2–أثر الاشتقاق في إيقاع خطاب شعر التفعيلة:

ولا يقتصر عنصر الاشتقاق على الشعر العمودي، فقط، كما سلف البيان، بل يحضر، أيضا، في شعر التفعيلة الحديث النشأة؛ مما يجعل بنيته تتسم بالثراء الإيقاعي، والغنى الموسيقي، كما هو الشأن بالنسبة إلى الشعر العمودي، فمن أمثلته قول بدر شاكر السياب من قصيدة بعنوان (هل كان حبا) (السياب، 2016م، ص347)، والتي تعد أول ما قاله من شعر التفعيلة:

...
بَيْنَ عَيْنَيْنَا، فَأَطْرَقْتُ، فِرَارًا بِاشْتِيَاقِي
عَنْ سَمَاءٍ لَيْسَ تَسْقِينِي، إِذَا مَا
جِئْتُهَا مُسْتَسْقِيًا، إِلَّا أَوَامَا

حيث جعل الاشتقاق متحققا بين لفظي (تَسْقِي، مُسْتَسْقِيا) الدالين على معنى الشرب والارتواء؛ وقد جعل اللفظين في سطرين شعريين متتابعين؛ وبفضل ذلك أمكن المتلقي الاستماعُ إلى الأصوات المكررة في اللفظين خلال مدة زمنية قصيرة، في إطار تكرار صوتي ولفظي مركب؛ وهو ما أسهم في إثراء إيقاع المقطع الشعري وموسيقاه.

وقول عبد الوهاب البياتي، أيضا، في قصيدة بعنوان (الزنبق والحرية إلى ولدي سعد) (البياتي، 1995م، ص263):

عُصْفُورٌ أَزْرَقُ
فِي قَفَصٍ مِنْ زَنْبَقِ
غَنَّى أُغْنِيَةً
غَنَّى الْحُرِّيَّةَ

وقد استعان بعنصر الاشتقاق في السطرين الشعريين الأخيرين من خلال لفظي (غَنَّى، أُغْنِيَة) الدالين على الإنشاد والطرب؛ مما أغنى موسيقى المقطع الشعري وإيقاعه الداخلي؛ بسبب تكرار صوتيْ (الغين والنون) تحديدا؛ وهو ما أثمر تكرارا صوتيا ولفظيا في الآن نفسه. ولعل ما زاد من إيقاعية الاشتقاق في هذا الموضع تكرارُ الفعل (غَنَّى) مرتين؛ فكان الإيقاع الداخلي، هنا، متحققا بفضل عنصرين بارزين (الاشتقاق والتكرار اللفظي).

وكذلك قول فدوى طوقان في الأسطر الشعرية الأخيرة من قصيدة عنوانها (رسالة إلى طفلين في الضفة الشرقية) (طوقان، 1993م، ص383-384):

سَتَعْرِفُونْ
مَتَى وَأَيْنَ يَلْتَقِي الْمُشَتَّتُونْ
وَكَيْفَ تَنْتَهِي حِكَايَةُ الشَّتَاتِ
وَالضَّيَاعْ

حيث أوردت الاشتقاق في السطرين الشعريين الثاني والثالث عن طريق لفظي (المُشَتَّتُون، الشَّتَات) الدالين على التفرق؛ وقد أسهم ذلك، حتما، في إغناء إيقاع المقطع الشعري، وإثراء موسيقاه داخليا؛ نظرا إلى عنصر تكرارِ صوتيْ (الشين، والتاء) أساسا؛ إذ تكرر صوت الشين، فيهما، ثلاث مرات، والتاء خمسا بالنظر إلى الصوت المشدد فيهما معا الذي يعد صوتين؛ وهذا، طبعا، سيجعل أذن السامع تلتقط تكرارا صوتيا ولفظيا معا في ظاهرة لغوية واحدة هي الاشتقاق.

اتضح مما سبق، إجمالا، أن لعنصر الاشتقاق اللغوي أثرا إيقاعيا فريدا في الخطاب الشعري عموما، وتحديدا من حيث جانب

الإيقاع الداخلي لهذا الخطاب؛ ذلك أن طبيعة الاشتقاق القائمة على توليد الصيغ المختلفة للألفاظ من أصول محددة، تؤدي، حتما، إلى خلق تكرار صوتي ولفظي أساسه الألفاظ المشتقة؛ ومعروف أن التكرار يعد عنصرا من عناصر تحقيق الإيقاع الداخلي في الخطاب الشعري، إلى جانب عناصر أخرى حددتها البلاغة العربية في باب علم البديع.

خاتمة:

على سبيل الختم، يمكن القول إن اللغة العربية هي لغة الفرادة، والتميز، والجمال؛ فهي تزخر بعدد من الخصائص والمميزات التي تجعل منها واحدة من أبهى اللغات الإنسانية، وأرقاها، وأفضلِها. ولم تكن هذه الدراسة المتواضعة إلا قليلا جدا مما يمكن كشفه بخصوص المكانة المرموقة لهذه اللغة من بين اللغات الأخرى؛ حيث حاولت الوقوف عند إحدى أبرز الخصائص التي تميزها، وهي خاصية الاشتقاق، وما لها من أثر في إيقاع الخطاب الشعري؛ وبناء على ذلك، فقد أمكننا الوقوف عند المعطيات الآتية:

– يستفاد من الدلالتين اللغوية والاصطلاحية لكلمة (اشتقاق) أنهما تتقاطعان من حيث المقصودُ منهما؛ إذ إن دلالتي البنيان والأخذ المرتبطتين بجانب المعنى اللغوي للكلمة، تتحققان بوضوح تام فيما يتعلق بجانب المعنى الاصطلاحي لها.

– يبرز الاشتقاق في اللغة العربية من خلال عدة أنواع؛ وذلك بحسب طريقة اشتقاق اللفظ التي تعتمد على التدرج من البساطة إلى التعقيد؛ وذلك إما عن طريق تنويع الصيغ، أو تغيير ترتيب الحروف الأصلية، أو إبدال أحد الحروف الأصلية بحرف آخر، أو الأخذ من كلمتين فصاعدا لصياغة كلمة واحدة دالة على معنييهما.

– يعد الاشتقاق خاصية مميزة للغة العربية، وجانبا من جوانب فرادتها، وتميزها عن اللغات الأخرى؛ إذ يشكل بالنسبة إليها وسيلة بارزة من وسائل نمائها، وتطورها، وتكاثر ألفاظها كما يرى عدد من الدارسين العرب.

– تتعدد المداخل المهتمة بدراسة عنصر الاشتقاق في اللغة العربية؛ إذ يهتم به الصرفيون الذين يحاولون دراسة الصيغ المختلفة للمادة اللغوية، وتحديد الصيغة الأصل للمشتقات؛ والمعجميون الذين ينظرون إلى الدلالات الخاصة بمختلف مشتقات المادة اللغوية التي تعد بالنسبة إليهم أصل المشتقات؛ والبلاغيون الذين يدرجون الاشتقاق ضمن طرق تحسين اللفظ، وذلك في باب علم البديع.

– إن للاشتقاق أثرا بارزا في إثراء الإيقاع الداخلي للخطاب الشعري، وإغنائه؛ إذ يَثْبُتُ ذلك من الناحية البلاغية من جهة؛ حيث يُنظر إليه بوصفه إحدى طرق تحسين اللفظ في كلام العرب شعرا ونثرا، وتحسين اللفظ إنما هو جعله مستساغا من حيث السمع؛ أي ذا إيقاع جذاب. كما أن عنصر الاشتقاق، من جهة أخرى، يندرج ضمن العناصر المسهمة في بناء الإيقاع الداخلي للخطاب الشعري؛ لأن وجود لفظين مشتقين أو أكثر في البيت الشعري، يؤدي، حتما، إلى نوع من التكرار الصوتي واللفظي في آن واحد؛ مما يجعل المتلقي يستشعر ذلك الإيقاع الفريد في الخطاب الشعري.

– إن الاشتقاق، في اللغة العربية، ظاهرة لغوية جديرة بمزيد من الدرس، والتحليل، والمقاربة؛ نظرا إلى تعدد مداخلها صرفا، ومعجما، وبلاغة، وإيقاعا؛ وهذا التعدد ما هو إلا دليل على أن باطن هذه الظاهرة ما يزال زاخرا بالكثير من الدرر.

قائمة المصادر والمراجع:

- إسماعيل بن حماد الجوهري. (1979م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (الإصدار 2). بيروت: دار العلم للملايين.
- بدر شاكر السياب. (2016م). الديوان (الإصدار د. ط.). بيروت: دار العودة.
- بهاء الدين بوخدود. (1988م). المدخل الصرفي: تطبيق وتدريب في الصرف العربي (الإصدار 1). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- أبو بكر بن دريد. (د. ت.). الاشتقاق (الإصدار 3). مصر: مكتبة الخانجي.
- أبو بكر الزبيدي. (د. ت.). طبقات النحويين واللغويين (الإصدار 2). القاهرة: دار المعارف.
- حبيب عز الدبك. (د. ت.). خصائص اللغة العربية (الإصدار د. ط.). القاهرة: المطبعة العصرية.
- ابن منظور. (د. ت.). لسان العرب (الإصدار د. ط.). القاهرة: دار المعارف.
- ابن السري السراج. (د. ت.). رسالة الاشتقاق (الإصدار د. ط.). سوريا: مكتبة جامعة اليرموك.
- عبد الوهاب البياتي. (1995م). الأعمال الشعرية الكاملة (الإصدار د. ط.). عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع.
- أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني. (د. ت.). شرح المعلقات السبع (الإصدار د. ط.). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- عبد الله بن المعتز. (1982م). البديع (الإصدار 3). بيروت: دارا المسرة.
- عبد القادر مصطفي المغربي. (1908م). الاشتقاق والتعريب (الإصدار د. ط.). مصر: مطبعة الهلال.
- ابن عصفور الإشبيلي. (1996م). الممتع الكبير في التصريف (الإصدار 1). لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
- فدوى طوقان. (1993م). الأعمال الشعرية الكاملة (الإصدار 1). عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع.
- أبو الفتح عثمان بن جني. (1954م). المنصف (الإصدار 1). مصر: الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية.
- أبو الفتح عثمان بن جني. (1957م). الخصائص (الإصدار د. ط، المجلد 1). مصر: دار الكتب المصرية.
- شرف الدين حسين بن محمد الطيبي. (1978م). التبيان في علم المعاني والبديع والبيان (الإصدار 1). بيروت: مكتبة النهضة العربية.
- تمام حسان. (1994م). اللغة العربية معناها ومبناها (الإصدار د. ط.). المغرب: دار الثقافة.
- الخطيب القزويني. (2003م). الإيضاح في علوم البلاغة (الإصدار 1). بيروت: دار الكتب العلمية.